

الشّكّر ... حقيقته وأثره في حفظ النّعيم

١٥ من رجب ١٤٣٧ هـ الموافق ٢٢ من إبريل ٢٠١٦ م

أولاً: العناصر:

١. حقيقة الشّكّر وفضله.
٢. أنواع الشّكّر.
٣. الشّكّر من صفات الأنبياء والصالحين.
٤. ثمرات الشّكّر وأثره في حفظ النّعيم.
٥. شكر أهل المعروف من شكر الله.

ثانياً الأدلة:

الأدلة من القرآن الكريم:

١. يقول تعالى: {وَإِذْ تَأْذَنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ} [إبراهيم: ٧].
٢. ويقول تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُّوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيمَانُهُ تَعْبُدُونَ} [البقرة: ١٢٢].
٣. ويقول تعالى: {فَادْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ} [البقرة: ١٥٢].
٤. ويقول تعالى: {أَعْمَلُوا آلَ دَاءُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِي الشَّكُورُ} [سبأ: ١].
٥. ويقول تعالى: {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلْتُمْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَا لَكُونَ * وَذَلِّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ * وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعٌ وَمَشَارِبٌ أَفَلَا يَشْكُرُونَ} [يس: ٢١ - ٢٣].
٦. ويقول تعالى: {وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ} [لُقْمَان: ١٢].
٧. ويقول تعالى: {وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرِيَّةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَةً يَأْتِيَهَا رِزْقُهَا رَغْدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِاَنْعُمَ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُحُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ * وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ * فَكُلُّوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمُ اللَّهُ حَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيمَانُهُ تَعْبُدُونَ} [النَّحْل: ١١٤ - ١١٢].
٨. ويقول تعالى: {إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يُرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفَرُ وَإِنْ تَشْكُرُوا يُرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَنْزِرُ وَازْرَةً وِزْرًا أَخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُبَيِّنُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلَيْمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} [الزمر: ٧].
٩. ويقول تعالى: {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدِيهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهُنَا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامِينِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدِيهِكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ} [لُقْمَان: ١٤].

الأدلة من السنة النبوية:

١. عن عائشة (رضي الله عنها) قالت: كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إذا صلى قام حتى تفطر رجلاً، قالت عائشة: يا رسول الله، أتصنع هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: (يا عائشة أفلأ كون عبداً شكوراً) (رواه مسلم).
٢. وعن معاذ بن جبل (رضي الله عنه) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أخذ بيده، وقال: (يا معاذ والله إني لأحبك، والله إني لأحبك) فقال: (أوصيك يا معاذ لا تدع في دبر كل صلاة تقول اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك) (رواه أبو داود).
٣. وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: (إن للطاعم الشاكِرِ حين الأجر مثل ما للصائم الصابر) (رواه الترمذى).
٤. وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: (بيتنا رجل يمشي فاشتد عليه العطش فنزل بيته فشرب منها ثم خرج، فإذا هو بكلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال: لقد بلغ هذا مثل الذي يبلغ بي فملا خفه ثم أمسكه بيفيه ثم رقي فسقى الكلب فشكَرَ الله له فغفر له، قالوا: يا رسول الله وإن لنا في البهائم أجراً، قال: في كل كبد رطبة أجراً) (رواه البخاري).
٥. وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: (بيتما رجل يمشي بطريق وجد غصن شوك على الطريق فآخره فشكَرَ الله له فغفر له) (رواه البخاري).
٦. وعن عبد الله بن عمرو (رضي الله عنهما) قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: (حصلتان من كانتا فيه كتبة الله شاكراً، ومن لم تكنوا فيه لم يكتب الله شاكراً ولا صابراً، من نظر في دينه إلى من هو فوقه فاقتدى به ونظر في دنياه إلى من هو دونه فحمد الله على ما فضله به عليه كتبة الله شاكراً، ومن نظر في دينه إلى من هو دونه ونظر في دنياه إلى من هو فوقه فاسف على ما فاته منه لم يكتب الله شاكراً ولا صابراً) (رواه الترمذى).
٧. وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: (لا يشكُرُ الله من لا يشكُرُ الناس) (رواه أبو داود).
٨. وعن عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (من استعاذه بالله فأعيده، ومن سأله فأعطيه، ومن دعاكم فأجيبوه، ومن صنع إليكم معروفاً فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه) (رواه أبو داود).

ثالثاً: الموضوع:

لقد أنعم الله عز وجل على الإنسان بنعيم كثيرة لا تعد ولا تحصى ، قال تعالى: {أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَةً ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً} [لقمان: ٢٠]. هذه النعم قد يرى الإنسان بعضها رأي العين ، ويختفي عليه الكثير منها ، وكل نعمة من هذه النعم تقتضي أن يفكر فيها الإنسان ، حتى يدرك أسرارها وقيمتها وأهميتها ، ويتدبّر عظيم نعم الله عز وجل عليه. ولو أحسن الناس النظر والتفكير فيما حولهم من أرض وسماء ، وليل ونهار ، وبحار وأنهار ، وثمار وأشجار ، وأنعام ودواب ، لوجدوا أنفسهم محاطين بنعيم كثيرة لا يستطيعون عدّها ولا القيام بشكرها ، ولادركونا أن الفضل في ذلك يرجع إلى الخلاق العظيم الذي يقول للشيء "كن فيكون" ، قال تعالى: {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ النَّمَراتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ * وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ * وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعْدُوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوْهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ} [إبراهيم: ٣٢-٣٤] ، وقال جل جلاله: {وَإِنْ تَعْدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوْهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ} [النحل: ٣٤] ، ويقول سبحانه: {وَمَنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلَتَبْتَعُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [القصص: ٧٣].

ولو نظر الإنسان إلى خلقه وتكوينه وما وهبه الله عز وجل من حواس ، وما أنعم به عليه من مال وذرية وصحة ومتاع وغير ذلك لعرف عظيم نعم الله (عز وجل) عليه ، وسارع في شكر الله تعالى على هذه النعم التي سخرها له ، ومن ثم فهذه النعم تقتضي من الإنسان أن يشكر الله تعالى عليها شكرًا يليق بحاله وعظمته وكرياته ، شكرًا خالصًا لا يخالطه رياء ولا كبرباء ، قال تعالى: {كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [الحج: ٣٦].

وحقيقة الشكر: مقابلة النعمة بالقول والفعل والنية ، فيبني على المنعم بلسانه ويبذل الجهد في طاعته ، ويجتنب معاصيه في السر والعلن ، فالمؤمن الحق هو الذي يقر بأن ما به من نعم وفضل موده إلى الله وحده ، قال تعالى: {وَمَا يَكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ} [النحل: ٥٣] ، فهو في كل طرفة عين ، ونبضة قلب ، يشكر الله تعالى على نعمه المتتجدة بتجدد الليل والنهر ، قال تعالى: {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا} [الفرقان: ٦٢].

والشكراً دليل على صفاء النفس ، وطهارة القلب ، وسلامة الصدر ، وكمال العقل ، وهو - في حد ذاته - نعمة من الله تستحق الشكر عليها؛ فنشكر الله - تعالى - أن ألهمنا شكره ، ومن هنا يتواتي الشكر ولا ينقطع.

إذا كان شكري نعمة الله نعمة
عليه في مثلها يجب الشكر
فكيف وقوع الشكر إلا بفضله
وإن طالت الأيام واتصل العمر

ومن تمام شكر الله تعالى: أن يستعمل الإنسان نعم الله عز وجل فيما خلقت له ، وأن يضعها في الموضع التي ترضيه ، فالعين نعمة : وشكرها أن يستعملها في النظر إلى ما أحله الله، لا إلى ما حرمته الله ، واليد نعمة : وشكرها أن يستعملها في الطاعة لا في المعصية ، في الخير لا في الشر ، والأذن نعمة : وشكرها أن يستعملها في الاستماع إلى ما يعود علينا بالثواب من الله (عز وجل) ، والعقل نعمة : وشكرها أن يستعملها في التفكير السليم الذي يعود علينا وعلى المجتمع كله بالخير والرخاء ، وكذلك المال نعمة: وشكرها أن يوجهه للخير ، وأن نساعد به المحتاجين ، ونمسح به دموع المنكوبين ، ونفقه في مصالح العباد والبلاد ، وغير ذلك من نعمة الصحة والشباب والجاه والسلطان ، فكلها نعم سامية يجب أن يشكر الإنسان عليها ربه عز وجل بتسييرها للخير ونفع العباد ، وبالوقوف عند حدود الله تعالى. وكذلك كل نعمة أنعم الله بها على الإنسان يجب أن يستعملها في طاعة الله سبحانه ، يقول عز وجل: {وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْيَدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [النحل: ٧٨].

حقيقة الشكر: أن تكون حركات العبد وسكناته وخواطره ومشاعره وما يتمتع به من نعم موجهة للخير وفي سبيل الله ومن أجل مرضاه الله.

**وفضيلة الشكر من أسمى الفضائل وأعظمها قدرًا؛ لأنها تقرب العبد من مولاه ، وتجعله موضع حبه ورضاه ، حيث أخبر الحق سبحانه في كتابه أن رضاه في شكره وأن سخطه في كفران نعمته، فقال: {إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفَّارُ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَنْزِرُوا زِرَةً وَزِرَةً أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُبَيِّنُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} [ال Zimmerman: ٧].
وشكر الله - تعالى - لا يكون باللسان فحسب ، بل شكره باللسان ، والقلب ، والجوارح ، والعمل ، فشكر اللسان: يكون بذكر نعم الله - تعالى - وفضائله ، وكثرة حمده عليها ، والوفاء بحقها ، قال تعالى: {وَأَمَّا يَنْعَمُ بِرَبِّكَ فَحَدَّثْ}[الضحى: ١١] ، وقال سبحانه: {أَعْمَلُوا آلَ دَاءُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِي الشَّكُورِ}[سبأ: ١].**

وشكر القلب : يكون باعتقاد العبد أنه مُنعَمٌ عليه من الله (عز وجل) ، فمن أبي الجبل ، قال : قال موسى (عليه السلام) آنه قال: (إلهي كيف أشكرك وأصر نعمة وضعتها عندي من نعمك لا يجاري بها عملي كله) قال: فأوحى الله تعالى إليه (يا موسى الآن شكرتني) (الزهد لأحمد بن حنبل).

وشكراً للجوارح: يكون بترك المعاصي والذنوب ، قال مخلد بن حُسْنٍ: كَانَ يُقالُ: « الشُّكْرُ تَرْكُ الْمَعَاصِي ». .

عَلَامَة شَكْرُ الْمَرءِ إِعْلَانُ حَمْدَه
فَمِنْ كُتُبِ الْمَعْرُوفِ مِنْهُمْ فَمَا شَكْر
إِذَا مَا صَدِيقِي نَالَ خَيْرًا فَخَانِي
فَمَا الدَّنْبُ عِنْدِي لِلَّذِي خَانَ أَوْ فَجَرَ

ويكفي في بيان فضل الشكر وعظم من منزلته أن الله تعالى وصف به نفسه فقال: {إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ} [الشوري: ٢٣] ، وقال : {وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ} [التغابن: ١٧] ، وقال تعالى: {مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ إِيْكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا} [النساء: ١٤٧] . وليس معنى أن الله شاكر أن هناك من أسدى لله معرفة هو سبحانه يحتاج إليه ، فالله لا تنفعه طاعة الطائعين ولا تضره معصية العاصين ، لكن الشكر من الله معناه : المغفرة والإنعم على عباده ، وإثابتهم على ما قاموا به من العبادة والطاعة ، وما قدموا للعباد من معروف ، بل إن ربنا سبحانه يشكر كل من أسدى معروفاً للحياة سواء أداه لإنسان أو حيوان ، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال : يَبْيَنَا رَجُلٌ يَمْشِي فَأَسْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ فَنَزَّلَ بِئْرًا فَشَرَبَ مِنْهَا ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا هُوَ بِكَلْبٍ يَلْهُثُ يَأْكُلُ التَّرَى مِنَ الْعَطَشِ فَقَالَ لَقَدْ بَلَغَ هَذَا مِثْلُ الدِّيَ بَلَغَ يَيِّ فَمَالًا خُفْهُ ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ ثُمَّ رَقَيَ فَسَقَى الْكَلْبَ فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَعَفَرَ لَهُ قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ وَإِنَّ لَنَا فِي الْبَهَائِمِ أَجْرًا ؟ قَالَ : فِي كُلِّ كَبِيرٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ». [رواية البخاري] ، وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال : يَبْيَنَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ وَجَدَ غُصْنًا شَوْكِيًّا عَلَى الطَّرِيقِ فَأَخْرَهُ فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَعَفَرَ لَهُ». [رواية البخاري]. فشكراً لله للعبد بمغفرته سبحانه للذنوب ومجازاته العبد بالأجر والثواب.

وكذلك وصف الله تعالى به أنبياءه ورسله ، فكان الشكر خلقاً لازماً لأنبياء الله (عليهم السلام) ، وفي هذا حث للأمة أن تقتدى بهم ، فأول أنبياء الله نوح (عليه السلام) ، وصفه ربُّه بقوله: {ذُرِّيَّةٌ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا} [الإسراء: ٣] ، وخليل الله إبراهيم (عليه السلام) قال فيه ربُّه: {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * شَاكِرًا لِأَنْعُمَهُ اجْتِبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [النحل: ١٢٠-١٢١].

وها هونبي الله داود (عليه السلام) ينادي ربه كيف يؤدي شكره ، فقال : يا رب كيف أشكرك وأنت الذي تنعم علي ثم ترزقني على النعمة والشكر ، فالنعم منك والشكر منك ، فكيف أطيق شكرك ؟ فقال : " يا داود الآن عرفتني حق معرفتي " (المواعظ لأبي عبيد).

وينظر سليمان (عليه السلام) فيما خصه به ربُّه من نعم ، وما سخر له من مخلوقاته فلم يقابلها بالكبير والجحود ، وإنما قابلها بالدعاء لمولاه أن يوفقه ويعينه على شكره ، فقال تعالى على لسان

سلیمان: {رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالدَّيْ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ} [النمل: ١٩]، وقال تعالى - على لسان سيدنا سليمان - أيضاً: (هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوْنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ) [النمل: ٤٠].

أما نبیّنا محمد (صلى الله عليه وسلم) وهو الذي غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، فيقوم لربه من الليل حتى تتفطر قدماه ، وعندما سئل : لم كل ذلك يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، كان جوابه: (أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا؟). قال ابن عمير لام المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) أَخْبَرْنَا يَاعَجَبَ شَيْءٍ رَأَيْتِهِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) ، قال: فَسَكَتَتْ ، ثمَّ قَالَتْ: لَمَّا كَانَ لَيْلَةٌ مِنَ الْلَّيَالِي قَالَ: (يَا حَائِشَةً دَرِينِي أَتَعْبُدُ اللَّيْلَةَ لِرَبِّي)، قُلْتُ: وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّ قُرْبَكَ، وَأَحِبُّ مَا سَرَّكَ ، قَالَتْ: فَقَامَ فَتَطَهَّرَ ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي ، قَالَتْ: فَلَمْ يَرْزُلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ حِجْرَهُ ، قَالَتْ: ثُمَّ بَكَى ، فَلَمْ يَرْزُلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ لِحْيَتِهِ ، قَالَتْ: ثُمَّ بَكَى فَلَمْ يَرْزُلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ الْأَرْضَ ، فَجَاءَ بِلَالٌ يُؤْذِنُهُ بِالصَّلَاةِ ، فَلَمَّا رَأَهُ يَبْكِي قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَ تَبْكِي وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَالَ: (أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا) (رواه ابن حبان).

ولقد عُني القرآن الكريم بالحديث عن الشكر عنایة واضحة فذكره في مواطن كثيرة من آياته ، وطلب من عباده أن يتخلوا به ويحرصوا عليه ، لما له من أهمية كبرى ومنزلة عظمى ، فهو قيد للنعم الحاضرة ، ومجلبة للنعم المفقودة ، قال تعالى: {فَادْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ} [البقرة: ١٥٢] ، قرنه بالذكر وأمر بهما معاً ، وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُّوْنِ مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيمَانًا تَعْبُدُونَ} [البقرة: ١٧٢] ، وقال سبحانه: {فَكُلُّوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيمَانًا تَعْبُدُونَ} [النحل: ١١٤] ، وقال تعالى: {وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْلِهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ} [لقمان: ١٢] ، وقال تعالى: {بَلِ اللَّهِ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنْ الشَّاكِرِينَ} [الزمر: ٦٦] ، ولا يأمر الله عباده إلا بما يحقق لهم الخير والسعادة في الدارين ، فالسعيد من امتنل أمر ربه فأطاعه فكان من الشاكرين .

وشكره سبحانه على نعمه التي لا تعد ولا تحصى واجب على العبد - ليس تفضلا منه -، يقول تعالى معدداً بعض نعمه وآلائه: {إِنَّمَا يَرَوَا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلْتُمْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَا لِكُونَ * وَذَلِكُنَا هَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ * وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعٌ وَمَشَارِبٌ أَفَلَا يَشْكُرُونَ} [يس: ٢١-٢٣].

وأما عن ثمرات الشكر فكثيرة ، منها: أن الشكر يعود بالخير على الشاكر نفسه ، فلا يقع نفع الشكر ، ولا ضرر الكفران على الله تعالى ، وإنما النفع يقع على الشاكر نفسه ، وضرر الكفران يقع

على الباحث نفسه ، قال سبحانه : (ولَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ) [لقمان: ١٢].

ومن ثمرات الشكر : حفظ النعم من الزوال ، فعن الحسن (رضي الله عنه) قال : " إِنَّ اللَّهَ يَمْتَعُ بِالنِّعْمَةِ مَا شَاءَ ، فَإِذَا لَمْ يُشْكُرْ قَلْبَهَا عَلَيْهِمْ عَذَابًا " ، وكان عمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه) يقول : « قَيَّدُوا النِّعَمَ بِالشُّكْرِ ».

ولقد ضرب لنا الحق - سبحانه وتعالى - مثلاً بقرية زالت نعمها : لعدم الشكر عليها ، فقال سبحانه : (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغْدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمَ اللَّهِ فَأَدَقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخُوفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ * وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخْذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ * فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيمَانًا تَعْبُدُونَ) [النحل: ١١٤ - ١١٢]. فالشكرا سبب بقاء النعمة والحفظ عليها.

وثمرة الشكر لا تتوقف على حفظ النعم فحسب ، بل زيااتها ومضايقها ، يقول تعالى : { وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ } [إبراهيم: ٧] ، وقال سيدنا علي (رضي الله عنه) لرجلٍ من همدان : " إِنَّ النِّعْمَةَ مُوَصلَةٌ بِالشُّكْرِ ، وَالشُّكْرُ مُعْلَقٌ بِالْمَزِيدِ ، وَهُمَا مَقْرُونَانِ فِي قَرْنٍ ، فَلَنْ يَنْقَطِعَ الْمَزِيدُ مِنَ اللَّهِ حَتَّى يَنْقَطِعَ الشُّكْرُ مِنَ الْعَبْدِ ".

وقد علمنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كيف نؤدي شكر الله تعالى على نعمه ، فعن عبد الله بن عباس البهاري أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال : (مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ : اللَّهُمَّ مَا أَصْبَحَ بِي مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنْكَ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ الْحَمْدُ وَلَكَ الشُّكْرُ ، فَقَدْ أَدَى شُكْرَ يَوْمِهِ ، وَمَنْ قَالَ مِثْلَ ذَلِكَ حِينَ يُمْسِي فَقَدْ أَدَى شُكْرَ لَيْلَتِهِ) (رواه أبو داود).

فمن داوم على شكر الله (عز وجل) كان له مثل أجر الصائم الصابر ، كما أخبرنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، ومعلوم أن أجرهما لا يعلم إلا الله ، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (إِنَّ لِلطَّاعِمِ الشَّاكِرِ مِثْلَ مَا لِلصَّائِمِ الصَّابِرِ) (رواه البهقي في السنن) ، وصدق الله العظيم حيث قال : { وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ } [آل عمران: ١٤٤].

والشكرا ليس قاصرًا على شكر العبد لربه ، فإذا كان أول من يشكر هو الله سبحانه لأنه صاحب الفضل والمنة والنعمة ، ولا منع في الحقيقة سواه ، فإن شكر الوالدين يأتي بعد شكر الله عز وجل ، لما قدماه لأبنائهم من كل خير في الحياة ، لذا قرن الله - تعالى شكرهما بشكره وطاعتهما بطاعته في أكثر من موطن في كتابه الكريم ، يقول تعالى : { وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهُنَّا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ } [لقمان: ١٤].

وشكراً للوالدين يكون بالطاعة والإحسان إليهما وتقديرهما وعدم إيداعهما ولو بأقل الألفاظ ، وهذا هو المفهوم من قوله تعالى : { وَقَضَى رَبُّكَ أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغُنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَّاهُمَا فَلَا تَنْعُلْ لَهُمَا أَفْ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا } [الإسراء: ٢٣].

ومن كمال شكر الله تعالى الشكر لكل من أسدى إلينا معرفة ، فهو من باب شكر الله تعالى ، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (لا يشكر الله من لا يشكر الناس) (رواه أبو داود). والحق سبحانه وتعالى يقول: { هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا إِحْسَانٌ } [الرحمن: ٦٠]. ولقد وصانا نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بذلك حيث قال: (مَنْ اسْتَعَاذَ بِاللَّهِ فَأَعِذُّوهُ، وَمَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ، وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ) (رواه أبو داود).

فإذا رأيت ربَّكَ يوالي عليك نعمَه وأنت تعصيه فاحذر ، فإن النعمة مع المعصية تصبح نعمة ، وكل نعمة لا تقرب من الله فهي نعمة ، قال تعالى: (إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كُفُورًا) [الإنسان: ٣].

ومن يسد معرفة إليك فكن له
شكوراً يكن معرفة غير ضائعة
ولا تخلن بالشُّكر والقرض فاجزه
تكن خير مصنوع إليه وصانع.
فينبغي للعبد أن يكون شاكراً لله عز وجل على نعمه ، ويتحدث بها ، ويستعملها في مرضاته
سبحانه ، وخدمة وطنه وأمته.
سؤال الله جلّ وعلا أن يوزعنا أن نشكر نعمه ، ويعيذنا من كفرانها.